

روح المعاني

هو لحضور مدلوله حسا لا لقوله : لي كما هو المتبادر إلى الإفهام وأيضا يرد على ما ذكره في ضمير استأجره أن موسى عليه السلام لم يسبق له ذكر عند حضوره مع بنت شعيب عليه السلام وقد قالت : يا أبت استأجره وقصدها بالضمير الرجل الحاضر الذي بان لها من قوته وأمانته الأمر العظيم ثم إن من خاصم زوجته فقال للحاضرين من أهلها أو من غيرهم : هي طالق تطلق زوجته لوجود ما قرره ابن مالك ولا يتمشى على ما قرره الشيخ كما لا يخفى وبالجملة إن التأويل الذي ذكره في الآيتين وإن سلم فيهما لكن لا يكاد يتمشى معه في غيرهما هذا فليفهم وشهد شاهد من أهلها ذهب جميع إلى أنه كان خالها وكان طفلا في المهد أنطقه الله تعالى ببراءته عليه السلام فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم تكلم أربعة في المهد وهم صغار : ابن ماشطة ابنة فرعون وشاهد يوسف عليه السلام وصاحب جريج وعيسى ابن مريم عليهما السلام وتعقب ذلك الطيبي بقوله : يرد دلالة الحصر في حديث الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة : عيسى ابن مريم وصاحب جريج وصبي كان يرضع من أمه فمر ركب حسن الهيئة فقالت : أمه اللهم اجعل ابني مثل هذا فترك الصبي الثدي وقال اللهم لا تجعلني مثله أه ورده الجلال السيوطي فقال : هذا منه على جاري عاداته من عدم الإطلاع على طرق الأحاديث والحديث المتقدم صحيح أخرجه أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه وصححه من حديث ابن عباس ورواه الحاكم أيضا من حديث أبي هريرة وقال صحيح على شرط الشيخين وفي حديث الصحيحين المشار إليه آنفا زيادة على الأربعة الصبي الذي كان يرضع من أمه فمر ركب إلخ فصاروا خمسة وهم أكثر من ذلك ففي صحيح مسلك تكلم الطفل في قصة أصحاب الأخدود وقد جمعت من تكلم في المهد فبلغوا أحد عشر ونظمتها فقلت : تكلم في المهد النبي محمد ويحيى وعيسى والخليل ومريم ومبيري جريج ثم شاهد يوسف وطفل لذي الأخدود يرويه مسلم وطفل عليه مر بالأمه التي يقال لها تزني ولا تتكلم وماشطة في عهد فرعون طفلها وفي زمن الهادي المبارك يختم أه وفيه أنه يرد الطيبي الطعن على الحديث الذي ذكر كما توهم وإنما أراد أن بين الحديث الدال على الخضر وغيره تعارضا يحتاج إلى التوفيق وفي الكشف بعد ذكره حديث الأربعة وما تعقب به مما تقدم عن الطيبي أنه نقل الزمخشري في سورة البروج خامسا فإن ثبتت هذه أيضا فالوجه أن يجعل في المهد قيدا وتأكيدا لكونه في مبادئ الصبا وفي هذه الرواية يحمل على الإطلاق أي سواء كان في المبادئ أو بعيدها بحيث يكون تكلمه من الخوارق ولا يخفى أنه توفيق بعيد .

وقيل : كان ابن عمها الذي كان مع زوجها لدى الباب وكان رجلا ذا لحية ولا ينا في هذا

قول قتادة : إنه كان رجلا حكيما من أهلها ذا رأي يأخذ الملك برأيه ويستشيره وجوز أن يكون بعض أهلها وكان معهما في الدار بحيث لم يشعرا به فبصر بما جرى بينهما فأغضبه الله تعالى ليوسف فقال الحق وعن مجاهد أن الشاهد هو القميص